وما إن ينتهي الصوت القادم من الصدفة – أي صوت القصيدة – حتى يعلن العربي برباطة جأش أن النبوءة التي سمعها وردزورث ستحدث، وأنه في طريقه لدفن ذينك «الكتابين» ثم يخبرنا الشاعر أنه صدق بأن الحصاة والصدفة كانتا كتابين على الرغم من أنه رأى بعينيه عكس ذلك. ويفسر تصديقه بأنه إيمان من جانبه بكل ما جرى. وقد كان ذلك الإيمان هو الذي دفعه بشكل أقوى من ذي قبل للتعلق بالرجل ومشاركته أداء المهمة التي كان يزمع القيام بها. لكن العربي تركه مسرعًا غير عابىء بتوسلاته وملاحقته إياه على قدميه. ثم يحدث أن يأتي الطوفان فعلاً ويبتعد العربي «تطارده مسرعة مياه عالم يغرق، فصحوت عندئذٍ مرعبًا ورأيت البحر أمامي والكتاب الذي كنت أقرؤه إلى جانبي» (١٣٧–١٤٠).

-٣-

قبل أن يصل وردزورث إلى نهاية سرده للحلم يُشير إلى أنه بينما كان يركض مسايرًا العربي على جمله بدا له هذا الأخير وكأنه

الفارس

الذي يروي سرفانتيس حكايته، ومع ذلك فإنه لم يكن

الفارس وإنما أيضًا عربي من الصحراء

ولم يكن أيًا من هذين ، وكان كليهما معًا (١٢٢–١٢٥)

دخول دون كيهوته إلى المشهد مهم، لأنه يلقي الضوء على العلاقة بين رواية سرفانتيس التي تحمل اسم ذلك الفارس وموضوع الحلم. فـ دون كيهوته التي يبدأ الحلم وينتهي بها هي قصة ذلك السعي الجنوني العظيم لاستعادة صورة خيالية للعالم مستمدة من الكتب، أو هي المحاولة المستحيلة لإرغام العالم على الإذعان لمتطلبات تلك الصورة الذهنية. وما سعي العربي لإنقاذ الكتابين، أو ما يعتقد أنهما كتابين ـ كتاب العلم وكتاب الشعر ـ إلاّ سعي مشابه في الاستحالة وفي العظمة. ومن هنا كان